مجلة
كلية التــراث الجامعة

مجلة علمية محكمة
متعددة التخصصات نصف سنوية
العدد الحادي والأربعون
30 نيسان 2025
ISSN 2074-5621

رئيس هيئة التحرير
أ.د. جعفر جابر جواد

مدير التحرير
أ.م. د. حيدر محمود سلمان

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق 719 لسنة 2011

مجلة كلية التراث الجامعة معترف بها من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بكتابها المرقم (ب 3059/4) والمؤرخ في (2014/ 4/7)

سيرة السيد تاج الدين الآوي وحركته الاصلاحية من سنة 662ه الى 709ه

نذير هارون الزبيدي

وزارة التربية المديرية العامة لتربية واسط - مدير مدرسة اور الابتدائية المختلطة

الملخص

يُعد السيد تاج الدين الآوي، من اعلام القرن السابع الهجري، وكان له دورٌ بارزٌ وبصماتٌ واضحة على مجريات الأحداث، التي شهدها عصره وما تلاه من احداث. تقلد نقابة نقباء الممالك الإيلخانية بأسرها، في العراق والري وخراسان. فهو يعد من الشخصيات الشيعية البارزة، التي ساهمت مساهمة فاعلة في حفظ القيم الإلهية، ونصرة العقيدة، ونقل تراث اهل البيت، وفكرهم الى امم وشعوب كانت تصنف على انها شعوب وحشية وهمجية، فكانت حركته الاصلاحية، خطوة حكيمة، وتحرك صائب لمعالجة واصلاح الفوضى التي سببها الغزو المغولي للعراق، لمنع حصول المزيد من تدهور الاوضاع العامة للمجتمع آنذاك، وقد تجسد ذلك بأول خطواته الاصلاحية، والمتمثلة بنهر التاجية، الذي كان له أثر كبير في مكافحة التصحر، والقضاء على الفقر، من خلال اعمار واستصلاح الارضي الزراعية الممتدة بين الكوفة والنجف، كما يعد هذا النهر بمثابة المرتكز الاساسي في مشروع السيد تاج الدين الآوي الاصلاحي، لتحقيق التنمية الشاملة، وداعماً حقيقياً لتنفيذ الخطوات اللاحقة، والمتمثلة بالتصدي لليهود، وكشف مؤامرتهم الخبيثة للاستيلاء على مسجد النخيلة، بالتوازي مع نشاطه الأهم والابرز، والذي ظهر جلياً من خلال نشره الاسلام المحمدي الاصيل بين المغول الايلخانيين. فكانت نتائج اعماله الجليلة تلك، ان دفع السيد تاج الدين الآوي حياته وحياة ولديه شمس الدين وشرف الدين، ثمنا لإخلاصه لدينه ومذهبه.

الكلمات المفتاحية: السيد تاج الدين – الاسلام- الاصلاح – المغول

Abstract

Alsayid Taj al-Din al-Awi is considered one of the most prominent figures of the seventh century AH. He had a prominent role and clear imprints on the course of events that took place during his era and the events that followed. He held the position of the Syndicate of Chiefs of all the Ilkhanate kingdoms, in Iraq, Rayy, and Khorasan. He is considered one of the prominent Shiite figures who contributed effectively to preserving divine values, supporting the faith, and conveying the heritage of the Ahl al-Bayt and their thought to nations and peoples who were classified as savage and barbaric peoples. His reform movement was a wise step and a sound move to address and reform the chaos caused by the Mongol invasion of Iraq, to prevent further deterioration of the general conditions of society at that time. This was embodied in his first reform steps, represented by the Tajiyah River, which had a major impact in combating desertification and eliminating poverty, through the development and reclamation of agricultural land extending between Kufa and Najaf. This river is also considered the main pillar in Sayyid Taj al-Din al-Awi's reform project to achieve comprehensive development, and a real supporter for implementing subsequent steps, represented by confronting the Jews and exposing their malicious conspiracy to seize the Nakhilah Mosque, in parallel with his most important and prominent activity, which appeared clearly through his spread of authentic Muhammadan Islam among the Ilkhanate Mongols.

Keywords: Alsayid Taj al-Din - Islam - Reform – Mongols.

المقدمة

ليس سهلاً أن يدّعي احدهم قضية الاصلاح، ما لم يكن مؤهلاً لهذا الدور فكرياً وعملياً، لأن فكرة الاصلاح ليست نزهةً، أو ضرباً من الادّعاء، أو الفكر المجرد، ولا هي نوع من اللغط والهلوسة والكلام الفارغ، عبر منصات الخطابة والاعلام، بل هي فعلٌ خلاق يهدف الى تغيير الواقع والثورة عليه، ونسف القديم الساكن، وزرع الجديد المتحرك المنتج، القادر على ادامة عجلة الحياة ودفعها الى الامام دائماً.

وفي ظل الفوضى التي خلفها الاحتلال المغولي للبلاد الاسلامية والخراب الذي انتجه، كان لابد من عملية بناء جديدة هدفها الاصلاح، في تلك المرحلة التاريخية الحرجة، لكي تضع حداً لمسارات التخبط والتيه، والابتعاد عن روح الاسلام العظيم، ومبادئه الخلاقة، التي فرضها خلفاء بني العباس على العالم الاسلامي، لأكثر من خمسة قرون.

فكان السيد تاج الدين يحمل هذه المؤهلات، كونه سليل الدوحة المحمدية المباركة، ووريث الثوار العظماء، الذين غيروا مجرى التاريخ؛ فمن يتابع سيرته رضوان الله تعالى عليه وتحركاته، ويدقق في الانجازات التي حققها، يجد انه كان يتحرك وفق خطة مدروسة وبخطوات محسوبة بدقة، نحو عملية اصلاح شاملة.

فقد عمل السيد تاج الدين الآوي بكل عزم وهمة لخدمة الاسلام واهله، ولتحقيق ذلك "اختار اول امره أن يكون واعظاً"[1]، جاعلاً من هذا الامر أساساً لمنهجه في الحياة وطريقاً لإصلاح الأفراد وهداية الجماعات، ولم يأبه بما قد يتعرض له من أذى أو اغتيال، رغم علمه أن مصير الغالبية العظمى من المصلحين، وعلى امتداد التاريخ، إما السجن أو القتل.

إلا ان ما يؤسف له حقاً انه - ورغم تضحياته العظيمة ودوره المشرف والمكانة التي حظي بها، واهميتها الكبيرة ومع ما امتاز به مرقده المبارك من الذكر وانتشار الصيت، منذ اكتشاف قبره الشريف وظهور كراماته - لم يحظ السيد تاج الدين بالاهتمام الكبير، اسوة بما حظي به الاعلام الذين عاصروه، ما شجعنا على الكتابة عن هذه الشخصية الجليلة وسيرتها، ومحاولة تسليط الضوء على نضالها وتضحياتها في سبيل نشر الاسلام والدفاع عنه، وكشف الدور المشرَّف الذي لعبه السيد تاج الدين في تشيع المغول وتحول الدولة الايلخانية الى مذهب الإمامية.

وعلى ضوء ما سلف ذكره، فقد عمد الباحث الى تقسيم بحثه- الموسوم " سيرة السيد تاج الدين الآوي وحركته الاصلاحية من سنة 662ه الى 709ه" - الى محورين رئيسيين هما:

1- التعريف بالسيد تاج الدين الآوي.
2- حركة السيد تاج الدين الآوي الاصلاحية من سنة 662ه الى 709ه وقد تم توزيع هذا المحور على ثلاثة نقاط هي :
   - انجاز مشروع نهر التاجية.
   - افشال مؤامرات اليهود للاستيلاء على مسجد النخيلة وطمس معالمه.
   - الترويج لمذهب أهل البيت عليهم السلام بين الغزاة المغول.

المحور الاول : التعريف بالسيد تاج الدين الآوي

السيد تاج الدين هو محمد بن مجد الدين الحسين بن علي بن تاج الدين زيد بن الداعي بن زيد بن علي بن الحسين بن الحسن التج بن أبي الحسن علي بن أبي محمد الآبي الحسن النقيب الرئيس بن علي بن محمد بن علي بن علي بن الحسن الأفطس بن علي الأصغر بن الإمام زين العابدين علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب امير المؤمنين عليه السلام[2].

كنيته أبو الفضل[3]، وأشهر ألقابه عند المؤرخين تاج الدين[4]، بالإضافة إلى لقبه الآوي نسبة الى آوة[5]، وهي بلدة صغيرة من قرى اصبهان-على وزن ساوة[6] وهي قرية اخرى تقابلها - ويقال لها آبة، وكان أهل آوة في العصور المتقادمة شيعة وأهل ساوة كانوا من أهل السنة، ولذلك كانت بينهما منافرة تامة، والحروب بين القريتين قائمة على المذهب[7]، وفي الاشارة الى هذا المعنى ذكر احد الشعراء:[8]

وقائلة اتبغض اهل آبة وهم اعلام نظم الكتابة
فقلت اليك عني ان مثلي يعادي كل من عاد الصحابة

"وبيت الآوي من ارفع بيوت العلم والرياسة في علوية الشيعة وقد أسس على التقوى من اول يوم وتولى اكثرهم نقابة الاشراف في النجف"[9].

إلا ان ما يؤسف له ان أصحاب التراجم لم يتطرقوا إلى جزئيات حياة السيد تاج الدين، ولم يذكروا إلا الشيء القليل عنها، حتى أنهم لم يثبتوا تاريخ مولده، وكم كان عمره حين استُشهد، باستثناء قولهم انه نشأ في قرية "بر ملاحة بالفتح والحاء المهملة : موضع في ارض بابل، بقرب حلة دبيس بن مزيد، وفيها قبر حزقيل المعروف بذي الكفل[10]، يقصده اليهود من البلاد الشاسعة للزيارة"[11].

تزوج السيد تاج الدين الآوي من السيدة الزاهدة شرف ملك، وهي ابنة ابن عمه رضي الدين الآوي فولدت له ثلاثة اولاد : شمس الدين الحسين، وشرف الدين علي المرتضى ونصرة ملك[12].

لم تختلف سيرة السيد تاج الدين عن سيرة الأوائل من آبائه الذين عملوا جيلاً بعد جيل على إرشاد الناس وهدايتهم ومحاربة الجهل والضلال ومقارعة الظالمين,((ذُرِّيَّة بَعْضهَا مِنْ بَعْض))[13]. فقد ورث سجاياهم ونهل من علمهم وتحلى

وتزين بسماتهم، فهي تجري في عروقه، ورضعها مع اللبن منذ نعومة أظفاره ((يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ)) [14].

كان السيد تاج الدين عابداً تقياً خطيباً واعظاً. عده الشيخ عبد العزيز الجواهري من علماء الشيعة الامامية ومن الاقطاب في العلم والعمل البارعين بأفانين العلوم[15].

وصفه ابن الطقطقي بـ:" السيد الكبير الزاهد الورع، الجليل القدر، الكريم النفس، المجاور بمشهد مولانا امير المؤمنين، يشار اليه هناك"[16].

اما الشيخ عبد الحسين الاميني فقد وصفه بـ:" علم المذهب وعيلم الفضل والادب، مقتدى الشيعة بعصره وعزيز مصره خصه المولى سبحانه يوم اكرمه بكريم النسب وباذخ الشرف، بعلم جم، وفقه موصوف وخطوات واسعة في انواع الفضيلة وزعامة وامامة ونقابة وتقى وورع وهو غير متبع، فلم يفتأ بخطر في حلل منها قشيبة ومطارف مزركشة حتى اودي به شهيداً"[17].

قُتل السيد تاج الدين الآوي صابراً محتسباً، مع ولديه شمس الدين وشرف الدين في شهر ذي القعدة سنة 711هـ- 1311م على شاطئ نهر دجلة[18]، في ضفته اليسرى ضمن اراضي قبيلة شمّر[19] في المنطقة المسماة بـ(الحفرية) التي تقع بين قضاء الصويرة وقضاء العزيزية من محافظة واسط.

غضب السلطان محمد خدابنده لمقتل السيد تاج الدين وأبنيه غضباً شديداً، وأسف لذلك كثيراً، الا ان الرشيد- وزير خدابنده- اوهمه أن جميع السادات بالعراق اتفقوا على قتله[20].

وقد بقي قبر السيد تاج الدين مجهولا حتى عام 1200هـ- 1785م حين عثر المرحوم حمد علي[21]على شاهد قبر السيد تاج الدين وولديه وقد حفرت اسمائهم عليه، وبعد عرضه على ذوي الشأن، تبيَّن حاله وبهذا تم التعرف عليه واظهاره[22]. والشاهد كان عبارة عن قطعة فخارية يرجع تاريخها إلى ما بعد سقوط بغداد، مكتوب عليها (السيد الجليل الشهيد تاج الدين الآوي)، وهي موجودة الآن في المرقد جزءً من ممتلكاته[23].

ولما كانت المساجد ومقامات الأولياء عامل جذب للأرواح المؤمنة والقلوب المطئنة، ونظراً لتعدد كرامات السيد تاج الدين وتنوعها، وأثرها في نفوس القاطنين الى جواره، فقد اعتادوا زيارته يومياً مشياً على الاقدام طمعاً في نيل بركاته، وقد اطلقوا عليه (سبع شمّرْ) لمكانته السامية في نفوسهم[24]. كما قاموا ببناء بسيط على المرقد، ووضعوا امام قبره لوح كُتب عليه اسم السيد الجليل ونسبه الوضاح ، وبباب حرمه لوح آخر مكتوب عليه زيارته، وجعلوا خلف مرقده مقبرة لدفن موتاهم الذين لم يتيسر لهم نقلهم الى وادي السلام في النجف الاشرف[25].

يقع مرقد السيد تاج الدين في ارض زراعية من اراضي قبيلة شمر التابعة لمقاطعة الحفرية قرب نهر دجلة من ضفته اليسرى، بين مدينتي العزيزية والصويرة من محافظة واسط، ويبعد قبره عن مجرى دجلة حدود العشرين دقيقة للماشي، كما يبعد عن الطريق العام بغداد - كوت مسيرة ربع ساعة للماشي ايضا، ويشاهد قبره من الطريق العام[26].

وقد رافقت المرقد المبارك الكثير من التغييرات طيلة الفترة الممتدة منذ اكتشافه وحتى اليوم، فقد كان في بدايته غرفة من الطين، وفي عام 1940م تطور بناء المرقد قليلاً حيث بني هذه المرة من مادة (اللبن: المتكونة من التراب الممزوج مع التبن والمقطع الى قطع صغيرة على شاكلة طابوق البناء في الوقت الحاضر). وقد شمل البناء غرفة وطارمة صغيرة، أما بالنسبة للماء فقد كان يُنقل من نهر دجلة القريب على ظهور الحيوانات... وبعد فيضان نهر دجلة عام 1954م تلاشت المقبرة التي تكونت قرب المرقد، وفي عام 1956 بدأت مظاهر الحداثة تظهر على المرقد الطاهر، من خلال البناء الحديث، الذي تعلوه قبة بارتفاع (أربعة أمتار) وقد شمل التحديث أيضاً السحب الآلي للماء المستخدم للوضوء والشرب، ووضعه في خزانات كبيرة، واجراء عملية التصفية والتنقية عليه[27].

ومن النادر ان تجد مرقد السيد تاج الدين خالياً من الزائرين الذين يتوافدون عليه من مختلف مناطق العراق، طيلة ايام الاسبوع، وغالباً يعمد هؤلاء الى المبيت في المرقد ليلية الجمعة، فيقضونها بالصلاة والدعاء، وبالأخص اصحاب النذور والحاجات، اما ايام المناسبات الدينية كعيد الفطر والاضحى فتجد اعداداً غفيرة جداً تتوافد على المرقد المبارك، وفي ايام محرم الحرام، تحط مواكب العزاء رحالها عند المرقد وتختم شعائرها عنده .

ويحفظ سكان المنطقة، والمناطق المجاورة لها، الكثير من القصص التي تتحدث عن الكرامات التي حصلت في مرقد السيد تاج الدين، وهي مسجلة في سجل خاص محفوظ داخل المرقد، نذكر منها على سبيل المثال ما ذكره الدكتور محمد حسين علي السويطي والدكتور فوزي خيري كاظم، في بحثهما الموسوم (التعريف بمراقد واسط ومزاراتها الدينية حتى القرن العاشر الهجري) بقولهما: " حدثنا خادم المرقد، عن كرامات وصفها بالفريدة والكثيرة، وهي مسجلة في سجل خاص محفوظ داخل المرقد، ومن هذه الكرامات شفاء فتاة مصابة بالسرطان بعد ما عجز الأطباء عن مداواتها، وبعد شفاءها تبرعت بكل ما تملك من أموال، والتي ساعدت في تطوير المرقد، وظلت تخدم المرقد وزواره إلى حين وفاتها في التسعينات من القرن الماضي. ومن كراماته الأخرى شفاء رجل كان مصاباً بشلل ولادي، عجز الأطباء عن علاجه، وهو الآن مشافاً حي يرزق، وقد نذر نفسه لخدمة المرقد وزواره، وقد التقيناه أثناء زيارتنا للمكان، وشرح لنا حالته بشكل مباشر، وبكل تفصيلاتها، وارانا الآثار الباقية من مرضه، وكأن تداخلاً جراحياً قد حصل له. ومنها أيضاً شفاء رجل من العوق التام في قدميه، واسمه (هاشم خلف غاضي العوادي) مواليد 1965م، من سكنة العزيزية، هذه المعلومات وغيرها وجدناها مسجلة في سجل خاص بالمرقد، وعليها توقيع المريض نفسه"[28].

يعد مرقد السيد تاج الدين صرحاً شاهداً على أن الله لا يضيع أجر المؤمنين، وأن الدم الذي يُبذل في سبيل الله لا يَذْهَبُ جُفَآءً، فصار مرقده رضوان الله عليه، مزاراً يقصده آلاف الزائرين من كل اصقاع الارض وهم يحملون النذور لقضاء حوائجهم، كما ان الناحية التي يقع فيه مرقده الشريف سميت بناحية تاج الدين بعد ان كان اسمها "الحفرية" تيمناً وتبركاً بهذا الولي المُصلح. هذه المكانة والكرامات والألطاف التي حظي بها السيد تاج الدين ما كانت لتحصل لولا التضحيات العظيمة التي بذلها سيدنا الجليل، لحفظ القيم الإلهية ونصرة العقيدة، في وقت كانت البلاد الاسلامية تمر بأسوأ مراحلها، متمثلة بالهجمة المغولية ووقائعها المرعبة وما رافقها من قتل وخراب وانتشار الجهل والفقر والتخلف والأفكار الضالة المنحرفة .

قال الله تبارك وتعالى: ((فَأَمَّا الزبد فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ الناس فَيَمْكُثُ فِي الأرض))[29] وقال تعالى: ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ))[30].

المحور الثاني : حركة السيد تاج الدين الآوي الاصلاحية من سنة 662ه الى 709ه:

شرع السيد تاج الدين في تنفيذ استراتيجية شاملة ومتكاملة لإصلاحات دينية، واقتصادية، واجتماعية، بكل عزم وإصرار، وسعي للإمضائها باحترافية عالية، متخذاً من الأعمال التي يدوم نفعها، مُنطلقاً لتأسيس قاعدة جماهيرية تكون له مرتكزاً، وداعماً لتحركاته المستقبلية، مع المخلصين من ابناء المذهب، لإفشال محاولات اليهود الاستيلاء على مسجد النخيلة، والترويج لمذهب أهل البيت -عليهم السلام - بين الغزاة المغول.

وعلى وفق ما تقدم يمكن تلخيص اهم اعمال السيد تاج الدين الاوي بالنقاط الآتية:

اولا: انجاز مشروع نهر التاجية :

من الأقوال المأثورة "لولا الخبز لما عُبد الله" وعلى وفق هذا المبدأ يمكننا القول: ان المصلح الصادق ان لم يسعَ الى القضاء على الفقر ويحقق الامن الغذائي لجمهوره لا يمكن ان يكون تحركه اصلاحاً حقيقياً، وحتى ان كان حقيقياً، فلن يتمكن من تحقيق اهدافه.

لذلك نجد ان السيد تاج الدين جعل في مقدمة اولوياته القضاء على الفقر وتحويل الاراضي الصحراوية الى اراضي زراعية، من خلال نهر التاجية الذي يعد مشروعا رائداً آنذاك، جاعلاً منه مرتكزاً اساسياً لتحقيق التنمية الشاملة وكسب الجماهير، وداعماً حقيقياً لتحركاته المستقبلية.

يعد نهر التاجية من اهم اعمال السيد تاج الدين، فهو يُمثل مشروعاً استراتيجياً عملاقاً، كونه من اكبر المشاريع الإروائية ذلك التاريخ، الذي يهدف الى تحسين الجانب الاقتصادي للمجتمع، من خلال نقل الماء من نهر الفرات الى النجف الاشرف، ماراً بالكوفة محولاً الاراضي الصحراوية التي يمتد خلالها الى مساحات خضراء، وهذا النهر تم حفره "من الفرات القديم قرب المسيب حتى الكوفة، بطول عدة فراسخ، وكانت الكوفة آنذاك حفائر وتلولاً وآكاماً لا يطرقها زائر"[31] .

وقد أكد السيد حسين البراقي في كتابه تاريخ الكوفة ان: " نهر التاجية مأخوذ من الفرات ويصل الى مسجد الكوفة ثم ينتهي الى النجف ... وكانت تلك الارض قبل ذلك خالية من العمارات مقفرة العرصات موحشة لعدم النزهة فيها والكلاء فحدثت بحدوث النهر الاشجار، وجرت في جوانبها الانهار .... فجرى ذلك بواد غير ذي زرع فأحدقت بهجتها برياضها من بعد ما كانت موحشة اطلالها فزهرت لها انوارها ... فآضت به ارض النجف روضة غناء وحلة زهراء... كأن ثراها عنبر سحيق او مسك فتيق يتصبب منها زلال سحَّها الدرور ويرقص على ايقاع تصفيق مائها السرور... وسمي هذا النهر بنهر (التاجية) نسبة الى المتولي على حفره السيد تاج الدين... وكان من فضلاء ذلك العصر واعلامهم"[32].

وقد ذكر ابن طاووس ان تاريخ الابتداء بحفر نهر التاجية كان سنة 662ه- 1263م[33] ، وان تاريخ بداية حفر بركة مسجد الكوفة كان سنة 667ه- 1268م وانتهى العمل بها سنة 669ه- 1270م[34] ثم بعدها واصال المشروع طريقه الى النجف الاشرف، حتى وصل الى مراحله النهائية "في شهر رجب سنة 676ه- 1277م"[35].

وعلى جري ماء نهر التاجية حدثت الاشجار والضياع في الكوفة، وعلى حافتي هذا النهر انشئت 150 قرية على ضفافه[36].

وقد خلد الشاعر شمس الدين الكوفي حادثة انشاء نهر التاجية بقصيدة قال فيها:

وصير النجف المهجور يغمره ماء الفرات فيسقي النخل والعنبا

وهذه الكوفة المعمور جامعها أجرى بها الماء يبغي أجر من شربا[37]

مما تقدم نستنتج مدى الفائدة العظيمة المتحصلة من نهر التاجية واثره على النشاط الاقتصادي والاجتماعي لسكان تلك المناطق، خاصة انه تمكن من احياء مساحات واسعة من الاراضي وبناء قرى جديدة بلغ عددها 150 قرية، وبذلك استطاع السيد تاج الدين حل مشكلة الفقر، التي كان يعاني منها الكثير من الناس في تلك الظروف القاسية التي مرت بها البلاد نتيجة الغزو المغولي.

ثانياً : افشال مؤامرات اليهود للاستيلاء على مسجد النخيلة وطمس معالمه:

لم تسعفنا المصادر التاريخية الشحيحة عن سيرة السيد تاج الدين، ما يمكّننا من تغطية تفاصيل تحديه لليهود ومواجهتهم في قضية مسجد النخيلة، سوى نصاً تاريخياً ذكره ابن عنبة، يقول فيه: "ان مشهد ذي الكفل النبي كان بقرية بير ملاحا، على شط التاجية بين الحلة والكوفة، واليهود يزورنه ويترددون اليه، ويحملون النذور اليه، فمنع السيد تاج الدين اليهود من قربه، ونصب في صحنه منبراً واقام فيه جمعة وجماعة، فحقد ذلك الرشيد الطبيب"[38].

هذا النص كما هو واضح يؤكد حصول مواجهة بين الطرفين، ويكشف طبيعة الصراع القائم بين اليهود والمخلصين من ابناء المذهب منذ ذلك التاريخ وحتى وقتنا الحاضر، لكنه لم يوضح تفاصيل تلك المواجهة وشكلها، بينما كانت تلك المواجهة من الاهمية والخطورة سبباً من اسباب استشهاد السيد تاج الدين وولديه شمس الدين وشرف الدين، لذلك بات من الضروري تفكيك هذا النص واستنطاقه، لكشف تفاصيل تلك الواقعة، ولتحقيق هذا الغرض سنحاول الاستعانة بنصٍ تاريخيٍ آخر، ذكره الشيخ حرز الدين في كتابه "مراقد المعارف"، للتشابه الكبير بين الحادثتين في حدودها البشرية والمكانية، الاّ انهما تختلفان زمانياً.

يصف النص- الذي ذكره الشيخ محمد حرز الدين - حال مسجد النخيلة الملاصق لمرقد الكفل ايام العهد العثماني بقوله: " واليوم ليس لمسجد النخيلة عنوان يتميز به سوى المأذنة ... وفيه محراب مقام ادركناه ورأينا رسمه في العهد العثماني ... والمعروف عند مشايخنا والمعمرين انه كان في المسجد منبر كبير عال من الصخر وقد حفر اليهود الفسقة الى جنبه حفيرة واردوه فيها وسووا عليه التراب، ولا يزال موجوداً تحت الارض"[39]

هذا النص وان جاء متأخرا عن زمان السيد تاج الدين بأكثر من خمسة قرون، الا انه يكشف لنا صورة عداء اليهود الأزلي للمقدسات الاسلامية، ومؤامراتهم المستمرة لطمسها.

وبما ان اليهود هم نفس اليهود في كل زمان ومكان، وبما ان المكان المستهدف هو مسجد النخيلة في الحالتين، ومن خلال المزاوجة بين الروايتين نستنتج ان اليهود ايام السيد تاج الدين عمدوا الى الاستيلاء على مسجد النخيلة، مستغلين انشغال الناس بالفوضى التي سببها الاحتلال المغولي، وذلك بضم ارض المسجد الملاصقة لمرقد نبي الله ذو الكفل، ومن ثم طمس معالمه، واثاره، ومحاولة اخفائها، وبتقادم الايام تصبح تلك الارض من ممتلكاتهم.

فكان هذا العمل اساس المشكلة، وجوهر الصراع الناشئ بين اليهود والسيد تاج الدين، الذي انبرى لمواجهتهم بعد ان استشعر الخطر الداهم الذي يستهدف المقدسات الاسلامية، فعمل على افساد مخططهم وقطع الطريق امام مؤامراتهم واطماعهم، والحؤول دون تنفيذ مآربهم الخبيثة، من خلال تدبيره خطة غاية في الذكاء، تتمثل بإعادة احياء مسجد النخيلة- بعد ان طاله الاهمال مدة من الزمن - وتفعيل دوره الوظيفي والروحي وذلك بنصب منبراً في صحن مسجد النخيلة واقامة صلاة الجمعة والجماعة فيه، ما أثار غضب اليهود.

وما يعضد ما ذهبنا اليه الكتاب الاخر للشيخ محمد حرز الدين "معارف الرجال" إذ يقول فيه :" وقد سبق لليهود من قبل السعي بقتل السيد تاج الدين النقيب سنة 711ه- 1311م كما حدثنا التاريخ بذلك حيث ان النقيب اخرج اليهود من تلك القرية"[40].

ثالثا : الترويج لمذهب أهل البيت عليهم السلام بين الغزاة المغول:

لقد اتاح حكم المغول للمسلمين ومخالطتهم فرصة كبيرة للاطلاع على احوال المسلمين، فرأوا سماحة الاسلام وعدالته، التي تساوي بين الغني والفقير والقوي والضعيف والابيض والاسود، كما اتاح لهم رؤية بساطة الاسلام ووضوحه وسهولة شعائره وبعدها عن الخرافات والخزعبلات الموجودة في غيره من الاديان والملل الاخرى[41] فدفعهم هذا كله على المدى الطويل- وبتأثير رجال نذروا انفسهم لنشر الاسلام وتعاليمه- للتحول من العداوة الحاقدة الى المسالمة ثم المصادقة للمسلمين ثم الدخول في الاسلام .

وكان لمواقف السيد تاج الدين، وتضحياته، مساهمة هامة في صياغة التاريخ الإسلاميّ، ونشر الاسلام المحمدي الاصيل، والتبليغ لمذهب آل البيت عَليهِم السَّلامُ والجهر بآرائهم بين قطاعات واسعة من الغزاة المغول، وهذه المواقف كانت تعبير حقيقي عن الامكانية والهمة العالية التي تحلى بها، وقابليته الفذة على الاقناع، وسوق الادلة والبراهين، فكانت نتائجها تشيّع السلطان المغولي محمد خدابنده الذي اعلن المذهب الشيعي المذهب الرسمي للدولة الايلخانية بأسرها، وضرب النقود بأسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، فكان بذلك السلطان محمد خدابنده اول ملوك الإيلخانية يعتنق الاسلام وفق مذهب الشيعة الامامية[42].

فقد ذكرت المصادر ان خدابنده وامرائه ندموا على اعتناقهم المذاهب الاسلامية نتيجة لمسائل خلافية بين المذهب الحنفي والشافعي... وبقي حائراً وامرائه ثلاثة اشهر لا يعتمد دينا يركن اليه، فبلغ ذلك علماء الامامية في الحلة، وكانت غاصة إذ ذاك برجال الفضل البارعين بأفانين العلوم، وتشاوروا في ذلك، وقر رأيهم على انفاذ هيئة علمية مبشرة بمذهب الشيعة، وكان من جملتهم السيد تاج الدين الآوي والعلامة الحلي، فلما وردوا على خدابنده وعرفوه مرامهم امر بأحضار جماعة من مشاهير علماء اهل السنة في ذلك العصر وامرهم بالمناظرة في محفل عظيم وكان المناظرون للسيد تاج الدين الاوي والعلامة الحلي قطب الدين الشيرازي وعمر الكاتبي القزويني واحمد بن محمد الكبشي ونظام الدين المراغي وركن الدين الموصلي، وظهر الفلج على علماء العامة بمحضر من خدابنده وقواده، فدخلوا لوقتهم في مذهب الامامية، وامر بتغيير الخطبة وذكر الائمة الاثنى عشر عليهم السلام على المنابر، وذكر (حي على خير العمل) في الاذان، وتغيير السكة،

ونقش اسماء الأئمة عليها، وكتب الى الاطراف يأمرهم بالتمذهب بمذهب الشيعة الامامية، واسلم المغول جميعهم، وجعل السيد تاج الدين الآوي نقيب الممالك الايلخانية[43].

وقد اتفق المؤرخون من الفريقين، على تشيّع السلطان محمد خدابنده على يد السيد تاج الدين الآوي، فقد ذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ذلك بقوله: " ولما ملك خربندا اسلم وتسمى بمحمد واقتدى بالكتاب والسنة ... حتى اجتمع بالسيد تاج الدين الآوي الرافضي وكان خبيث المذهب فما زال بخربندا حتى جعله رافضيا وكتب الى سائر مماليكه يأمرهم بالسب والرفض"[44].

كما ورد ذكر تلك الحادثة في مقدمة كتاب جامع التواريخ حيث جاء فيها انه : "كان في بغداد (سيد) - اي شخص من سلالة علي- اسمه تاج الدين ابو الفضل محمد، وقد بدأ هذا الرجل بالقيام بوظيفة واعظ واستطاع بهذه الصفة ان يكسب تقدير السلطان الجايتو، فرقاه ذلك الى المنصب السامي منصب نقيب الاشراف -(سلالة علي)- الذين كانوا منتشرين في العراق والري وخرسان، اي في جميع انحاء الامبراطورية المغولية" [45].

وقد حدد المؤرخ عباس العزاوي تاريخ إعلان تشيع الدولة الايلخانية رسمياً بسنة ٧٠٧ه- 1307م[46]؛ الا ان المؤرخين الذين هم أقدم زمناً ذكروا أن ذلك كان سنة ٧٠٩ه- 1309م[47].

لقد كان تحول الدولة الايلخانية لمذهب الشيعة الامامية حدثاً تاريخياً غير مسبوق، تنفس فيه الشيعة الصعداء، وانسجم ورغبتهم وطموحهم التاريخي في التخلص من الانظمة السابقة، التي فرضت سلطاتها الظالمة عليهم بالحديد والنار زمناً طويلاً ، فعمت الفرحة العالم الشيعي بأسره.

الخاتمة

لا تختلف سيرة السيد تاج الدين الآوي عن سيرة آبائه الاوائل، الذين عملوا بكل جهد واخلاص على إرشاد الناس وهدايتهم ومقارعة الظالمين، فقد عمل بكل عزم وهمة لخدمة الاسلام واهله معتمداً إستراتيجية شاملة ومتكاملة لأصلاحات دينية واقتصادية واجتماعية، فكان نهر التاجية خطوته الاولى ضمن هذا السياق، والذي يعد مشروعاً إروائياً عملاقاً آنذاك، تمكن من خلالها احياء مساحات واسعة من الاراضي، كما سعى لتخليص مسجد النخيلة من مؤامرات اليهود للاستيلاء عليه، كما كانت له محاورات مع علماء المذاهب الإسلامية الاخرى في حضرة السلطان اولجايتو، أدهشت العقول وجعلت السلطان يعلن مذهب أهل البيت عليهم السلام المذهب الرسمي للدولة الإيلخانية، وضرب النقود بأسماء الأئمة ألاثني عشر عليهم السلام.

المصادر

1- ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن ,(ت 874)، النجوم الزاهرة، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د . ت).
2- ابن طاووس، ابي المظفر غياث الدين عبد الكريم الحسيني(ت 693هـ)، فرحة الغري، تح: محمد مهدي نجف، ط1، مطبعة التعارف، النجف، 2010م.
3- ابن الطقطقي، الأصيلي في أنساب الطالبيين, تحقيق: السيد مهدي الرجائي، ط1 ، منشورات مكتبة أية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، 1318هـ.
4- ابن عنبة، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني(ت 828هـ)، عمدة الطالب في أنساب آل أبى طالب، تح : محمد حسن آل الطالقاني، ط2 ، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف،1960م .
5- ابن كثير: إسماعيل بن عمر أبو الفداء, البصروي، (ت774 هـ) البداية والنهاية، تح. علي شيري، دار احياء التراث، لبنان ، 1988م .
6- الامين، محسن الحسيني العاملي, (ت1371ه)، في رحاب ائمة اهل البيت، دار التعارف، بيروت، لبنان، 1992م.
7- الاميني، عبد الحسين النجفي، شهداء الفضيلة، ط2، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، 1983م.
8- البراقي، حسين، تاريخ الكوفة، تح : محمد صادق بحر العلوم، ط4، دار الاضواء، بيروت- لبنان، 1987م.
9- ـــ، تاريخ النجف المعروف بـ(اليتيمة الغروية والتحفة النجفية)، تح: كامل سلمان الجبوري، ط1، دار المؤرخ العربي، النجف الاشرف، 2009.
10- جواهر الكلام، عبد العزيز ال صاحب، آثار الشيعة الامامية، ط1، مطبعة مجلس الشورى، طهران، 1342هـ.
11- حرز الدين، الشيخ محمد بن الشيخ بن الشيخ علي النجفي(ت1365ه)، مراقد المعارف، مركز تحقيقات علوم اسلامي، قم المقدسة، (د.ت).

12- ـــــــــــــ، معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء، تعليق: محمد حسين حرز الدين، مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، 1405ه.
13- الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبدالله الرومي(ت626هـ)، معجم البلدان ، دار صادر، بيروت، 1977م .
14- الخالدي، اسماعيل ، العالم الاسلامي والغزو المغولي، ط1 ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، 1984.
15- السويطي، محمد حسين وكاظم، فوزي خيري، التعريف بمراقد واسط ومزاراتها الدينية حتى القرن العاشر الهجري، بحث قدم الى المؤتمر العلمي الدولي الأول الذي اقامته الأمانة العامة للمزارات الشيعية الشريفة في العراق، تحت شعار (العراق مهد الأنبياء وموطن الأولياء)، للمدة من 23- 25/ تشرين الأول/ 2014م.
16- العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، ط1 ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2004.
17- علي خان، ماجد السيد محمد علي آل السيد، السيد تاج الدين الآوي اسلام يقاتل الغزاة، مطبعة الفرقان، النجف الاشرف، (د.ت).
18- غنيمة، يوسف رزق الله، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط1، مطبعة الفرات، بغداد، 1924م.
19- الكوفي، شمس الدين، ديوان شمس الدين الكوفي, تحقيق : ناظم رشيد، ط1، دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمان، الاردن، 2006.
20- المنقري، نصر بن مزاحم(ت212ه) ، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ، لبنان ، 1990م
21- الهمذاني، رشيد الدين فضل الله، (ت 718 ه) جامع التواريخ، ترجمة صادق نشأت وآخرون، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة، 1960، م.
22- وليمسن، جون فردريك، قبيلة شمر العربية مكانتها وتاريخها السياسي، ترجمة : مير بصري، ط1 ، دار الحكمة، لندن، 1999م.
23- اليافعي، مرآة الجنان ، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي (ت ٧٦٨ ه) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط2 ، بيروت،١٩٧٠.

الهوامش

1() ابن عنبة: 342- 343.

2() ابن عنبة : ص342 ؛ الامين، محسن ، اعيان الشيعة: ج3/ص627 ؛ حرز الدين، الشيخ محمد بن الشيخ علي النجفي(ت1365ه)، مراقد المعارف، مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي، (د.ت): ج1ص209- 210 ؛ الاميني، عبد الحسين النجفي، شهداء الفضيلة، ط2، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، 1983م: ص73.

3() لم يشتهر السيد تاج الدين الآوي بهذه الكنية في يومنا هذا، وانما اشتهر بكنية اخرى عند عوام الناس في عموم محافظة واسط واغلب المناطق المجاورة لها وهي : (التاج ابو محمد) فتراهم حين يُقسمون اذا ما اردوا منا تصديقهم في امر ما – وطبعا بلهجتهم الدراجة– فأنهم يقولون: و(التاي ابو محمد) مع العلم انه لم يكن لديه ولد اسمه محمد ولم تكن تلك كنيته ولا يُعلم من اين جاءت. ينظر: علي خان، ماجد السيد محمد علي آل السيد، السيد تاج الدين الآوي اسلام يقاتل الغزاة ، مطبعة الفرقان، النجف الاشرف، (د.ت): ص96.

4() ابـن عنبـة : ص342 ؛ الامـين، محسـن، اعيـان الشـيعة: ج3/ص627؛ حـرز الـدين، مراقـد المعارف:ج1/ص209– 210 ؛ الاميني: ص73 .

5() الاميني: ص76 .

6() ساوه : مدينة حسنة بين الري وهمذان بينها وبين كل واحد من همذان والري ثلاثون فرسخا، وبقربها مدينة يقال لها آوه . فساوه سنية شافعية وآوه اهلها شيعة امامية، بينهما نحو فرسخين وما زالتا معمورتين الى سنة 617 حتى جاءها التتار. ينظر : الحموي: ج3/ ص179.

7() الحموي: ج1/ص50 .

8() هذان البيتان للقاضي ابو نصر احمد بن العلاء الميمندي، ولم نعثر على ديوان شعر لهذا الاسم. ينظر : الحموي: ج1/ص51 .

9() الاميني : ص73 .

10() ذو الكفل: ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى :((واذكر اسمعيل وذا الكفل وكل من الاخيار)) وقوله تعالى: ((واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين))، وانقسم المفسرون بين من يقول انه نبي وبين قائل انه عبد صالح, وقيل سمي الكفل لأنه كفل شعب اسرائيل بالنجاة من اسر البابليين، وتعرف اليوم الناحية التي فيها قبره بناحية الكفل التابعة الى قضاء الحلة في العراق ويقع قبره في منتصف الطريق بين الكوفة والحلة على بعد عشرين ميل جنوبي مدينة الحلة، على الضفة الشرقية للفرات وجنب مسجد النخيلة، له حرم واروقة سميكة البناء مرتفعة الدعائم قديمة الانشاء تظل قبره قبة قديمة مخروطة، ينظر : المنقري، نصر بن مزاحم(ت212هـ) ، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1990م: 126 –127 ؛ الامين، محسن الحسيني العاملي, (ت1371هـ)، في رحاب ائمة اهل البيت، دار التعارف، بيروت، لبنان، 1992م: م1,ج2/ص96 – 97 ؛ حرز الدين ، مراقد المعارف: ص293. غنيمة، يوسف رزق الله، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط1، مطبعة الفرات، بغداد، 1924م: ص196 – 197.

11() الحموي : ج1 ص403.

12() ينظر: ابن الطقطقي: 314 – 315.

13() سورة ال عمران: 34.

14() سورة ال عمران: 114.

15() ينظر: جواهر الكلام: ج3/ص37.

16() ابن الطقطقي : 314 – 315.

17() الاميني: ص73 –74.

18() ابن عنبة : 342– 343.

19() شمّر : من القبائل العربية القحطانية المنتشرة في الجزيرة العربية والعراق، مساكنها الاصلية جبل طي، نزحت الى العراق سنة 1791م، وتعد اليوم من قبائل العراق الكبرى، وتاريخ هذه القبيلة في العراق مليء بالوقائع والاحداث. ينظر : وليمسن، جون فردريك، قبيلة شمر العربية مكانتها وتاريخها السياسي، ترجمة : مير بصري، ط1 ، دار الحكمة، لندن، 1999م: ص5 .

20() ينظر: ابن عنبة : ص 343.

21() حمد علي : هو سادن مرقد سيد تاج الدين, واول من اكتشف قبره الشريف. وقد افاد حفيده محمد عبد التاج حمد علي سادن مرقد سيد تاج الدين الحالي بان ظهور القبر يعود الى رؤيا رآها جده المرحوم حمد علي في المنام وحصيلتها : ان السيد تاج الدين قال له بأن عليه ان يبحث عن قبره . وفعلا وبعد بحث طويلا وشاق استطاع المرحوم حمد علي اكتشاف القبر الشريف ... وقد رد السيد محمد علي آل السيد علي خان مؤلف كتاب (السيد تاج الدين الآوي اسلام يقاتل الغزاة) على هذا الكلام بقوله : وفق ما تتبعنا من المصادر الكثيرة لم يتأكد لنا تاريخ ظهور القبر بالتحديد, واما بخصوص الرؤيا: فهو كلام مخدوش بأدنى تأمل فضلا عن ان هذا القول لا يثبت امام التحقيق العلمي , الا ان الاقرب الى الواقع هو ان المرحوم حمد علي قد عثر اتفاقا على شاهد قبر السيد تاج الدين وولديه وقد حفرت اسماؤهم عليه. ينظر: علي خان: ص88 – 89.

22() علي خان : ص88 – 89 .

23() السويطي وكاظم : ص9 .

24() علي خان : ص88 .

25() ابن عنبة : ج1/ص210– 211 .

26() حرز الدين، مراقد المعارف : ج1/ص210– 211 .

27() وثقنا هذه المعلومات من رواية القائمين على خدمة المرقد الشريف ومشاهداتنا العينية أثناء زيارتنا له سنة 2015.

28() السويطي وكاظم : ص11 .

29() سورة الرعد: 17.

30() سورة ابراهيم: 24 – 25.

31() البراقي، اليتيمة الغروية: 395 – 396.

32() البراقي، تاريخ الكوفة : 196 –200.

33() ينظر: ابن طاووس: 298.

34() ينظر: ابن طاووس: 298؛ البراقي، تاريخ الكوفة: 199

35() ابن طاووس: 298.

36() ينظر: البراقي، اليتيمة الغروية: 395 – 396.

37() الكوفي: 28 – 29.

38() ابن عنبة: 343.

(39) حرز الدين، مراقد المعارف: 1/ 294 – 295.

(40) حرز الدين، معارف الرجال 119/2

41() الخالدي: 198.

42() ينظر: جواهر الكلام: 36.

43() جواهر الكلام : ص37 – 38 .

44() ابن تغري بردي: ج9/ص169.

45() الهمذاني: م2,ج1 /31 –32.

46() ينظر : العزاوي : 407/2.

47() ينظر: ابن كثير: 560/5 ؛ اليافعي: 6/ 246 .